

تفسير البحر المحيط

@ 78 إـ لـ اهـ ° { أي : وهو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية فيها ، أو هو الذي يقال له : ا } فيها لا يشرك في هذا الاسم ؛ انتهى ، فانظر تقاديره كلها كيف قدر العامل واحداً من المعاني لا جميعها ، وقالت فرقة { هـ و } على تقدير صفة حذف وهي مرادة في المعنى ، كأنه قيل : هو ا المعبود { في السمـمـاواتـ * وـ في الأرضـ } وقدرها بعضهم وهو ا المدير { في السمـمـاواتـ * وـ في الأرضـ } ، وقالت فرقة : { وهـ و اللـهـ ° } تم الكلام هنا . ثم استأنف ما بعده وتعلق المجرور ب { يـعـلـمـ ° } وقالت فرقة : { وهـ و اللـهـ ° } تام و { في السمـمـاواتـ * وـ في الأرضـ } متعلق بمفعول { يـعـلـمـ ° } وهو { سرـكـمـ ° وـ جـهـرـكـمـ ° } والتقدير يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض ، وهذا يضعف لأن فيه تقديم مفعول المصدر الموصول عليه والعجب من النحاس حيث قال : هذا من أحسن ما قيل فيه ، وقالت فرقة : هو ضمير الأمر و ا مرفوع على الابتداء وخبره { في السمـمـاواتـ } والجملة خبر عن ضمير الأمر وتم الكلام . ثم استأنف فقال : { وـ في الأرضـ يـعـلـمـ ° سرـكـمـ ° وـ جـهـرـكـمـ ° } أي : ويعلم في الأرض . . . وقال ابن جرير نحواً من هذا إلا أن { هـ و } عائد على ما عادت عليه الضمائر قبل وليس ضمير الأمر . وقيل : يتعلق { في السمـمـاواتـ } بقوله : { تـكـسـبـونـ } هذا خطأ ، لأن { مـا } موصولة ب { تـكـسـبـونـ } وسواء كانت حرفاً مصدرياً أم اسماً بمعنى الذي ، فإنه لا يجوز تقديم معمول الصلة على الموصول . وقيل { في السمـمـاواتـ } حال من المصدر الذي هو { سرـكـمـ ° وـ جـهـرـكـمـ ° } تقدم على ذي الحال وعلى العامل . وقال الزمخشري : يجوز أن يكون { اللـهـ ° في * السمـمـاواتـ } خيراً بعد خبر على معنى أنه ا وأنه في السموات والأرض بمعنى أنه عالم بما فيهما ، لا يخفى عليه شيء منه كأن ذاته فيها وهو ضعيف ، لأن المجرور بفي لا يدل على وصف خاص إنما يدل على كون مطلق وعلى هذه الأقوال ينبنى إعراب هذه الآية ، وإنما ذهب أهل العلم إلى هذه التأويلات والخروج عن ظاهر { في السمـمـاواتـ * وـ في الأرضـ } لما قام عليه دليل العقل من استحالة حلول ا تعالى في الأماكن ومماساة الإجمام ومحاذاته لها وتحيزه في جهة ، قال معناه وبعض لفظه ابن عطية وفي قوله : { يـعـلـمـ ° سرـكـمـ ° } إلى آخره خبر في ضمنه تحذير وزجر . قال أبو عبد ا الرازي : المراد بالسـرّ صفات القلوب وهو الدواعي والصوارف وبالجهـر أعمال الجوارح وقدم السـرّ لأن ذكر المؤثر في الفعل هو مجموع القدرة مع الداعي ، فالداعية التي هي من باب السـرّ هي المؤثرة في أعمال الجوارح المسماة بالجهـر ، وقد ثبت أن العلم

بالعلة علة العلم بالمعلول والعلة متقدّمة على المعلول والمقدم بالذات يجب تقديمه بحسب اللفظ ، انتهى . .

وقال التبريزي : معناه يعلم ما تخفونه من أعمالكم ونياتكم وما تظهرون من أعمالكم وما تكسبون ، عام لجميع الاعتقادات والأقوال والأفعال وكسب كل إنسان عمله المفضي به إلى اجتلاب نفع أو دفع ضررٍ ولهذا لا يوصف به إلا تعالى . وقال أبو عبد الله الرازي : وفي أول كلامه شيء من معنى كلام الزمخشري يجب حمل قوله : { مَا تَكْسِبُونَ } على ما يستحقه الإنسان على فعله من ثواب وعقاب ، فهو محمول على المكتسب كما يقال هذا المال كسب فلان أي مكتسبه ، ولا يجوز حمله على نفس الكسب وإلا لزم عطف الشيء على نفسه وفي هذه الآية رد على المعطلة والثنوية والحشوية والفلاسفة : انتهى . .

وقال الزمخشري : (فإن قلت) : كيف موقع قوله { يَعْزِمُ سِرَّهُ كُمْ ° وَجَهْرَهُ كُمْ ° } (قلت) : إن أراد المتوحد بالإلهية كان تقريراً له ، لأن الذي استوى في علمه السرّ والعلانية ، هو إلا وحده وكذلك إذا جعلت { فِي السَّمَاوَاتِ } خبراً بعد خبر وإلا فهو كلام مبتدأ أو خبر ثالث ، انتهى ، وهذا على مذهب من يجيز أن يكون للمبتدأ أخباراً متعددة . .

{ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا بِهِمْ ° إِلَّا كَانُوا ° عِنْدَهَا مُعْرِضِينَ } { مِّنْ ° } الأولى زائدة لاستغراق الجنس ، ومعنى الزيادة فيها أن ما